الدرس العاشر/ تجريد التوحيد المفيد للمقريزي

قراءة الطالب: الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ وعلى آله وأصحابه أجمعين أما بعد: قال المصنف-رحمه الله تعالى-:

" ومن الشرك بالله تعالى المباين لقوله تعالى:{ إِيَّاكَ نَعْبُدُ}: الشرك به في اللفظ؛ كالحلف بغيره، كما رواه الإمام أحمد، وأبو داود عنه ﷺ أنه قال: "من حلف بغير الله فقد أشرك" صححه الحاكم وابن حبان، قال ابن حبان: " أخبرنا الحسن بن سفيان، ثنا عبد الله ابن عمر الجعفى، ثنا عبد الرحيم بن سليمان، عن الحسن بن عبيد الله النخعى، عن سعد بن عبيدة قال: كنت عند ابن عمر رضي الله عنه فحلف رجل بالكعبة، فقال ابن عمر: "ويحك!، لا تفعل، فإني سمعت رسول الله ﷺ: "من حلف بغير الله تعالى فقد أشرك"."

الشيخ –حفظه الله–: إنّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضل له، ومن يُضلل فلا هاديَ له، وأشهد أنّ لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله أما بعد:

فهذا الباب حول الشرك القولي، والشرك القولي ما لم يحتف به تعظيم القلب بالمحلوف، فهو من الشرك الأصغر الذي لا يخرج من الملة، وكذلك شرك الإرادات والنيات، وقد وردت التسمية في بعض الأحاديث والآثار، بأنه الشرك الأصغر، وبأنه الشرك الخفي، وأما ما ورد في شرك الإرادات، شرك السرائر، فهذه الأسماء لمسمى واحد، شرك السرائر تخص النيات، والأظهر من التسمية بالشرك الخفي أنها تخص أيضا شرك السرائر، وأما الشرك الأصغر فيشمل الشرك اللفظي ويشمل

شرك الإرادات أيضا، الإنسان يجري على لسانه ولا سيما أولئك القوم الذين كانوا قريبي عهد بالجاهلية، فيحلفون بغير الله تعالى من غير تعظيم، وإنما هو شيء يجري على اللسان سهواً أو خطأ، فيقعون في الكفر القولي، فلا تجري عليهم أحكام الردة كما فعل (قيس بن سعد) أمام عبدالله بن عمر ﵁ لما حلف بالكعبة فقال له ابن عمر: ويحك! لاتفعل، ثم ذكر قول النبي ﷺ: " من حلف بغير الله فقد أشرك"؛ فالشرك يقع على اللسان بالسهو أحياناً، كحال ذاك التائب الذي أخبر عنه النبي ﷺ لما فقد دابته وعليها طعامه وشرابه، فقال من شدة الفرح: "اللهم أنت عبدي وأنا ربك" إن لم يكن "أنت عبدي وأنا ربك" كفرٌ فلا يوجد كفر، لكن هذا كفرٌ جرى على اللسان، دون اعتقاد القلب، وكذلك الحلف كان يجري على اللسان دون تعظيم، وأما من حلف مع تعظيم المحلوف وتنزيله في الحلف منزلة الله ﷻ، فهذا شيء آخر، فإن الكفر يُحكم به على الإنسان أيضاً بالقول وبالعمل وبالجنان، فليس الكفر فقط هو الجهل بالقلب، وإنما يجري الكفر ما يجري على اللسان، كشتم الله ﷻ، فقد أجمع أهل العلم على أن من شتم الله ﷻ، فهو كافر مرتد خارج من الملة، والذي تُفتي فيه كثير من لجان الإفتاء هو الكفر، ويمهلونه فترة العدة يعني يُفرق بينه وبين زوجه في فترة العدة، إن تاب ورجع فترجع إليه، وإن لم يتب في فترة العدة فيجري الطلاق بينه وبين زوجه، فإذن الكفر يحُكم أيضاً باللسان، لكن من وقع فيه زلل، كأن يزلّ لسانه، كذلك الرجل الذي أخبر عنه النبي ﷺ الذي قال: "اللهم أنت عبدي وأنا ربك" وفي هذا الحديث فائدة عقدية أخرى مهمة وهي أن: (ناقل الكفر ليس بكافر)، فالنبي نقل قوله، ولكن ما ينبغي أن يُتوسع في نقل الكفر بل قيّد بعض أهل العلم أن هذا النقل ينبغي أن يكون بين يديّ المسؤولين والقضاة، حتى يحكموا فيه، وهذا تحجير واسع ولكن ما ينبغي أن يتوسع الإنسان في نقل الكفر، وإنما يذكر لفائدة، أما أن يبقى الإنسان يكرر الكفر فهذا خطأ، قلت في كلامي إن وقع على اللسان خطأ أو سهواً، واسألكم الآن ما الفرق بين السهو والخطأ ؟ السهو: الذي استقر في الجنان والقلب شيء على خلاف الواقع، الخطأ: الذي إذا استقر في

القلب شيء يوافق الواقع، لكنه ليس صواباً، يعني الإنسان الذي يخطئ أشد من الإنسان الذي يسهو، السهو: المستقر عندك صواباً، لكن زلّ لسانك فسهوت، أما الخطأ: الذي استقر في قلبك أمر على خلاف الواقع، فمثلاً قول العبد: "اللهم أنت عبدي وأنا ربك" هذا سهو لأن الذي استقر في قلب التائب أن الله هو الرب، وأنه هو العبد، ولكن زل لسانه، أما الخطأ قد يقع الإنسان فيقول كفراً، ولكن الخطأ يتبين له المعنى فيما بعد، مثل قول كثير من الخطباء، وقول كثير من الناس، يقولون مثلا: العصمة لله هذا قول كفري، لكن قائله لايكفر، لأنه مخطئ، لماذا العصمة لله كفر؟ لأن العصمة تكون من الله، والعصمة لا تكون في حق من لا يجوز عليه الخطأ ولا الزلل، العصمة في الشرع لمن؟ للأنبياء، الله الذي عصمهم، فالله هو العاصم، والعصمة تكون في حق من يجوز في حقه الخطأ، فالأنبياء لا يقعون في الكفر، لأن الله هو الذي عصمهم، ومن الخطأ أن تقول العصمة لله، الصواب أن تقول: الكمال لله بدل ما تقول العصمة لله، الله لا يجوز في حقه الخطأ أصلاً، وبالتالي لا يجوز لك أن تقول العصمة لله، فالله ﷻ له الكمال في أسمائه وصفاته وأفعاله، فله صفات الجلال والجمال والكمال ﷻ، ولذا أحياناً يقع الإنسان في الكفر وهو لا يشعر، ولذا مبحث الكفر وألفاظه كانت أقرب للفقه منه للعقيدة، أصبح التفصيل في موضوع ألفاظ الكفر من مباحث الفقهاء، وهي مذكورة في كتب الفقهاء، وكثير من أهل العلم خصّها بمباحث، ومن أشهر من ألّف في ألفاظ الكفر عالم مالكي اسمه (عمر بن محمد بن خليل السَّكوني) المتوفى سنة (717 هـ) له كتاب اسمه (لحن العوام) وسرد فيه ألفاظاً ما زلنا لهذه الساعة نسمعها في مجالس الناس العامة، ثم ختم الكتاب بتنبيهات على أخطاء وقعت في عدد من المؤلفات، فكان كتاباً بديعا، وفي بعض ما زعم توسع، وأسرد لكم بعض ما ذكر حتى نتجنب هذه الألفاظ، ألفاظ تكبيرة الإحرام: في اللفظ الناس يخطئون، فبعضهم يقول: (الله أكبر) بصيغة الاستفهام، الله أكبر كأنه يستفهم، ومن استفهم في كبرياء الله تعالى، فهذا كفر، لكن هذا الخطأ لا يعدو أن يكون لسانياً، بعضهم يقول: (الله أكبار) أكبار في العربية: طبل، وهذا كفر لفظي،

بعضهم يقول: (الله واكبر) جعل من الأكبر (واكبر) وهذا تسمعه في بعض الناس من العوام لا سيما إذا أمَّ من ليس فقيهاً، (واكبر) تعني في العربية اسم دويبة، فهذا كفر لفظي، فألفاظ الكفر شاعت وانتشرت في مناح عديدة، لو أردت تستقصيها تتعب، يقول لك: (الله يترضى عليك) ترضى من؟!! الله يترضى عليك: يعني الله يطلب الرضا من غيره لك، ذكرها أيضا (السكوني) والصواب أن نقول: الله يرضى عليك، وليس الله يترضى عليك، وقولهم: (الله يحافظ عليك ! يحافظ عليك ممن؟! {إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا}، فلا غالب لله ﷻ ، والصواب: الله يحفظك، هذا كلام ما زال دارجاً على ألسنة بعض الناس، وبعض الألفاظ قبيحة لو الناس تأملوها مثل: (الله يغدر من غدرني)، (الله يظلم من ظلمني) الله لا يظلم !، الله ﷻ لا يغدر!، بعضهم يقول: (ما يسمع الله من ساكت) هل تسمعون هذه في المجالس؟ ! والله ﷻ يقول: {أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ} الله يسمع السر والنجوى، قول: (الله لا يسمع من ساكت) تخالف الآية، اللفظ كفر، لكن لعله يريد شيئاً صحيحاً، نحن لا نتكلم عن مراد القائل، نتكلم عن لفظ القائل، وهذا يكثر في اللوازم، يعني قد يكون الكلام له لازم، اللازم قسمان: لازم ينفك، ولازم لا ينفك، فاللازم الذي ينفك يقال فيه: لازم المذهب ليس بمذهب"، واللازم الذي لا ينفك يقال فيه: "لازم المذهب مذهب" وهذا كثير، المرض في الشرع ليس ظُلماً المرض فيه أجر لمن احتسب، ترى واحداً صغيراً مريضاً تقول: يا حرام !، حرام لماذ؟!! حرام منك أنت لكن عند الله ليس حراما، بعضهم يقول عندما يرى مريضاً: والله هذا ما يستاهل هذا الشر !! من قال لك أن المرض شر أصلا ؟! يوم القيامة أهل العافية يتمنون لو رجعوا للدنيا وتقرض جلودهم بالمقاريض لما يجدون أهل المرض من المحتسبين ما لهم من الأجور، يتمنون أن يمرضوا، فالمرض ليس شراً، وهذا اللازم للأسف غلا فيه بعض الناس، خصوصا -وأنا لا أعرف أحكي لبناني لو كنت أحكي لبناني لقلدتهم في لبنان- بعض الناس يُكفِّرون على أي شيء، توسعوا ، الباعة الذين يبيعون كرابيج حلب في لبنان وغير لبنان وفي بلادنا، ينادون على

بيع كرابيج حلب، بقولهم: (يا كريم يا كريم)، بعض الفرق الغلاة، وابتلينا بشرهم، وأدركت فصلاً من فصول الجامعة، لما درست في الجامعة الأردنية أدركنا الويل، بعجلة هؤلاء للتكفير، قالوا: يا كريم، والذي يقول ياكريم كافر في بيعه لكرابيج حلب، لماذا؟!! قال: يبيع الله !! لماذا لا تقولوا ينادي ربه أن يجبره، وأن يجعله يبيع، هو قال فقط يا كريم، الإنسان الطيب لما يسمع كلاماً مشتبهاً لا يحمله إلا على محمل شرعي، والخبيث لا يحمله إلا على محمل خبيث، هو لما يقول ياكريم ينادي ربنا لعله أن يرزقه، أن يجبره أن يبيع، كنّا في الجامعة في المقصف فجاءنا بعض الناس من لبنان كنا نشرب فقال: كلكم كفار فقلنا له ماذا تدرس أنت؟!! يدرس في كلية التجارة، لماذا كلنا كفار؟!! ذهب إلى القمامة أجلكم الله، فحمل كأساً، وعلى الكأس موجود ختم الجامعة الأردنية، وعلى ختم الجامعة الأردنية مكتوب {وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ} قال: العلماء أجمعوا أن من وضع شيئاً من القرآن الكريم في القمامة كافر، قلت: هذا خطأ، الكفر يجري على اللسان، والفعل يجري على اللسان، وصاحبه لا يريده، هذا خطأ، فهذا الأمر ليس صوابا بأن تُكفِّر، بعض الناس عنده غلو في التكفير، ولا ينتبه إلى الملاحظ الدقيقة، فالسلف فهموا أن هنالك كفراً، هذا الكفر لا يعدو أن يكون لفظياً، الفعل هذا خطأ لا نقره، فذهبت أنا ومجموعة من الطلبة إلى رئيس الجامعة، وكان رئيس الجامعة وقتها الدكتور (عبد السلام المجالي) -رحمه الله- وشكونا وقلنا لا نريد الشاي بالكاسات التي بها ختم الجامعة حتى نقطع هذه الفتنة، فالشاهد أن العجلة في تكفير الناس وإخراجهم من الملة بالألفاظ هذا أمر للعلماء وليس لعامة الناس، فهذه الألفاظ نقول أنها شرك ولكننا نصنفها بأنها شرك أصغر، وهذا الشرك الأصغر ليس بمخرج من الملة، أبدع وأبرع وأقدم من تكلم في موضوع الشرك هم علماء الحنفية، هناك مبحث عند الفقهاء مغفل، ليس له صلة بالعقيدة لكن له صلة بالفقه، لكن أنبه عليه لعل الله ﷻ أن ييسر بعض الناهين ممن يتابعون هذا المبحث، المبحث عند الفقهاء يسمى (الاستمداد الفقهي) ينبئ على أن المذاهب كلها أصولها واحدة، الكتاب والسنة وفعل السلف، بعض المسائل موجودة في

مذهب وظاهرة فيه، ثم أخذتها المذاهب الأخرى من مذهب معين، وأوْلوه بالعناية والتنقيح والتحقيق، وهذا هو العلم، الآن ما يسمى بالبحث الحاسوبي والشاملة، ابحث مثلاً في (المغني)، من صاحب المغني؟ ابن قدامة الحنبلي، ابحث عن ابن الصباغ ، من ابن الصباغ؟ صاحب كتاب (الانتصار) وهو شافعي، تجد ابن قدامة ذكر ابن الصباغ أكثر من ست أو سبع مرات في كتابه، واعتمد عليه، حنبلي ينقل من شافعي، انظر مثلا إلى مباحث خصائص النبي ﷺ، علماء الشافعية، كالمزني والذين اعتنوا بكتاب المزني، (نهاية المطلب) للجويني، كتاب (الحاوي الكبير) للماوردي، والعلماء يذكرون في مبحث النكاح خصائص النبي ﷺ ويفصلون فيها، وخصائص النبي ﷺ أبرزها أنه يحل له أكثر من أربع نساء، ولكن خصائصه في جميع الأبواب وليست خاصة في النكاح أكثر من أربعة، ودرج الشافعية على ذلك حتى جاء صاحب كتاب (عقود الجواهر الثمينة) فنقل هذه الخصائص من الشافعي، الحكم بالصحة والحكم بالموجب اخترع أصوله تقي الدين السبكي ثم البلقيني، انظر كتب الحنابلة أخذوها منهم وهكذا..، فمبحث ألفاظ التكفير تكلم فيها الحنفية وكتبوا فيها متوناً خاصة، ومن أشهر المتون التي كتبها الحنفية في ألفاظ التكفير متن (البدر الرشيد في ألفاظ الكفر) وأوْلاه بعناية علي القاري في آخر كتابه: (شرح الفقه الأكبر) أدرج كتاب (البدر الرشيد) وشرحه، وهذا أيضا يحتاج لإفراد، ثم أخذ الشافعية من الحنفية، أنا الآن أقرأ لكم حتى أبين الموضوع بوضوح، أقرأ لكم من المجلد العاشر من (روضة الطالبين) للإمام النووي، وهو من الكتب المعتمدة في تحرير مذهب الشافعية، اختصره من كتاب (الفتح العزيز) للرافعي و(فتح العزيز شرح كتاب الوجيز) للغزالي، والغزالي تلميذ الجويني، والمزني أخذه من الشافعي، فالنووي في كتابه (روضة الطالبين) يقول في الجزء العاشر صفحة (66): "في كتب أصحاب أبي حنيفة –رحمه الله– اعتناء تام بتفصيل الأقوال والأفعال المقتضية للكفر وأكثرها مما يقتضي إطلاق أصحابنا –أصحابنا الشافعية– الموافَقَة عليه فنذكر ما يحضرنا مما في كتبهم" وبدأ يسرد.. الذي سرد منه، قسم مخرج من الملة، ومنه قسم إنما هو زلل وخطأ، حتى الأماني ذكر شيئا

منها، وذكر ضوابطاً فيها، أنا أتمنى لو أن طالب علم ولا سيما أصحاب الدراسات الأكاديمية، أن يبحثوا ألفاظ الكفر وضوابط ألفاظ الكفر، وأن يعتنوا عناية جيدة بوجود الضوابط التي تفصل بين الكفر المخرج من الملة، والكفر الذي هو لفظي ويجري على اللسان، فذكر مثلاً في الأمنية وأكتفي بهذا المثل، والكتاب والكلام كثير وحتى نستفيد من الوقت، يقول: "لو تمنى أن لا يحرم الله تعالى الخمر أو لا يحرم المناكحة بين الأخ والأخت -يكفر أو لا يكفر؟- قال: لا يكفر، ولو تمنى أن لا يحرم الله تعالى الظلم، أو الزنا، وقتل النفس بغير حق كفر" -ماهو الضابط؟- قال: والضابط أما ما كان حلالاً في شريعة مضت في زمان مضى فتمنى حِله لا يكفر، وأما إن أجمعت الشرائع على حرمته فهذا يكفر" يعني من تمنى الجمع بين الأخوات وأن يتزوج الإنسان أخته قال: "لا يكفر" لأن هذا كان في زمن آدم كيف تكاثر الناس! فما أحله الله في يوم من الأيام يقال فيه خطأ و لا يقال فيه كفر، وأما ما جاءت جميع الشرائع فيه بالحرمة كالظلم، وشرب الخمر وما شابه؛ فمن تمنى حِله كفر، ضابط دقيق ومذكور في كتب الفقهاء ومثله كثير، وأنا لا أريد إلا أن أحوم حول كلام الشارح.

سعد بن عبيدة قال: "كنت عند ابن عمر فحلف رجل بالكعبة" هذا الرجل سمع آباءه في الجاهلية يحلفون بالكعبة، وسيأتي بعد قليل، أن أكثر حلف العرب كان بالكعبة وبالآباء، يعظمون الآباء ويحلفون بالكعبة، فكان هذا الحديث يجري على لسانهم حتى بعد الإسلام، ويتكلمون ولا يشعرون، لا يريدون التعظيم بل كلمة تجري على اللسان، فمن حلف وجرى على لسانه شيء من الكفر وهو لا يريد التعظيم- تعظيم المخلوق-، وإنما كلمة جرت بلفظه اللسان فيقال: هذا شرك أصغر غير مخرج من الملة، فاكتفى ابن عمر بقوله: "ويحك" ! لا تحلف بالكعبة إني سمعت النبي ﷺ يقول:" من حلف بغير الله تعالى فقد أشرك"، الشرك الأصغر أيضا شيء آخر غير الحلف، فالحلف كله في الشرع ممنوع، سواء كان الحلف بالكعبة، أو الحلف بالملائكة، أو الحلف بالآباء، أو الحلف بالأنبياء، أو الحلف بالأولياء، أو الحلف بالملوك، أو الحلف بالأشخاص أو

الشيوخ، بل الحلف بالأمانة كذلك، وقد ثبت في سنن أبي داوود أن النبي ﷺ قال: "من حلف بالأمانة فليس منا" يحرم على الرجل أن يقول: بالأمانة، وهذا دارج على ألسنة الناس، إذا أراد أن يتكلم يقول: بالأمانة، من حلف بالأمانة فقد أشرك، ما معنى الشرك هنا؟ الشرك الأصغر، وليس الشرك الأكبر، ما حكم الحلف بغير الله؟ شرك وحرام، بعض أهل العلم نازع في الحرمة فقالوا: الحلف بغير الله ليس حراما، قالوا: مكروه وهذا خطأ، لماذا مكروه؟ قالوا: لأن النبي ﷺ قال: " أفلح وأبيه إن صدق" لفظة: "وأبيه" لفظة شاذة، ولما شرحنا صحيح مسلم طوّلنا في بيان أن لفظة "وأبيه" لم تثبت ولم تصح عن رسول الله ﷺ، ويعجبني كلام للإمام ابن القيم في (إعلام الموقعين) الجزء السادس صفحة (571) و (572) ،كلمات قليلات جميلات للغاية، قال –رحمه الله–: "وقد قصَّر ما شاء أن يُقصر من قال أن الحلف بغير الله مكروه وصاحب الشرع يجعله شركا"، ثم قال: لفظة جميلة: "فرتبته فوق رتبة الكبائر" لذا ذكرته سابقاً وأؤكد لاحقاً في هذا الدرس، كل ما ورد أنه شرك سواء بجميع أنواع الشرك فمرتبته في الشرع فوق مرتبة الكبيرة، حتى الشرك اللفظي، الحلف بغير الله حكمه حرام وليس فقط حرام بل أشد من حكم الكبيرة، قال: "وقد قصَّر ما شاء أن يُقصر من قال أن ذلك مكروه وصاحب الشرع يجعله شركا فرتبته فوق رتبة الكبائر" ثبت في الصحيحين أن النبي ﷺ قال: " إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم، من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت"، علماء الأصول يقولون: بآبائكم خرجت مخرج الغالب فلا معنى لها، ما معنى "لا معنى لها"؟ يعني ليس النهي فقط عن عدم الحلف بالآباء وإنما خص النبي الآباء لكثرة شيوعها فقال: "إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم" بأي شيء سواه ﷻ، لذا قال أهل العلم هذه خرجت مخرج الغالب فلا معنى لها، فالنهي في الشرع وارد في الحلف بأي شيء إلا بالله سبحانه، ولذا قال ﷺ عقب الحديث وهو يوضح مراده من قوله: "إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم" قال: "من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت" وحكم الحلف بالله، إذا كان من باب التعظيم، تحلف بالله لتعظمه فالحلف بالله طاعة من الطاعات ويجوز للإنسان أن يحلف

بالله تعالى تعظيماً له وإن لم يُستحلف، وكم من حديث أقسم فيه النبي ﷺ بالله وهو لم يُستحلف، وقول بعض الناس في الآية: {وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَانِكُمْ} أن الحلف بالله ممنوع هذا باطل، ولا يقول هذا الكلام إلا من لا يفقه، ومن اقتطع الآية ولم يتممها، {وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَانِكُمْ أَن تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ}، لا تجعل اليمين سبب لترك البِر، سبب لعدم الصلح بين الناس، سبب لعدم التقوى، يا فلان افعل! قال: أنا حلفت بالله ما أفعل، لا أقوم الليل، لا أصلح بين الناس قال: أنا حلفت بالله لا أصلح بين الناس، على هذا تنطبق الآية، أما أن تقرأ قوله تعالى {وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَانِكُمْ} وتسكت ولا تتمم الآية فهذا ما فهم الآية، فلا يظهر معنى الآية إلا بتتميمها، فإذن الحلف لا يكون إلا بالله ﷻ .

قراءة الطالب: قال المصنف –رحمه الله–: "ومن الإشراك قول القائل لأحد من الناس: "ما شاء الله وشئت"، كما ثبت عن النبى ﷺ أنه قال له رجل: "ما شاء الله وشئت" فقال ﷺ: "أجعلتَ لله ندا؟ قل ما شاء الله وحده"، هذا مع أن الله –سبحانه– قد أثبت للعبد مشيئة، كقوله تعالى:{لِمَنْ شاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ}، فكيف بمن يقول: أنا متوكل على الله وعليك، وأنا في حسب الله وحسبك، ومالي إلا الله وأنت، وهذا من الله ومنك، وهذا من بركات الله وبركاتك، والله لى في السماء وأنت لى في الأرض؟!، وازن بين هذه الألفاظ الصادرة من غالب الناس اليوم وبين ما نهى عنه من: "ما شاء الله وشئت"، ثم انظر أيها أفحش؟ يتبين لك أن قائلها أولى بالبعد من {إِيَّاكَ نَعْبُدُ}، وبالجواب من النبى ﷺ لقائل لتلك الكلمة، وأنه إذا كان قد جعل رسول الله ﷺ ندا، فهذا قد جعل من لا يدانيه لله ندا. وبالجملة فالعبادة المذكورة في قوله:{ إِيَّاكَ نَعْبُدُ}:هي السجود، والتوكل، والإنابة، والتقوى، والخشية، والتوبة، والنذور، والحلف، والتسبيح، والتكبير، والتهليل، والتحميد، والاستغفار، وحلق الرأس خضوعاً وتعبداً، والدعاء: كل ذلك محض حق لله تعالى، وفي "مسند

الإمام أحمد: "أن رجلاً أُتى به النبى ﷺ قد أذنب ذنباً، فلما وقف بين يديه قال: "اللهم إنى أتوب إليك ولا أتوب إلى محمد"، فقال ﷺ "عرف الحق لأهله ".

الشيخ –حفظه الله–: هذا تتميم لمباحث الشرك اللفظي، فمباحث الشرك اللفظي ليست خاصة بالحلف، وإنما أيضاً تشمل تسوية اللفظ بين الله ﷻ وغيره، وهذه الألفاظ فحشها وخطأها على درجات، وهي دارجة على ألسنة كثير من الناس، ولها أمثلة كثيرة، بعضها المعنى الدارج أفحش من قول "ما شاء الله وشئت"، ففي الحديث الصحيح أن بعض الناس قال للنبي ﷺ "ما شاء الله وشئت يا رسول الله" فقال له النبي ﷺ: " أجعلتني لله ندا"؟ ، قل "ما شاء الله وحده" اكتفى بقوله: قل ما شاء الله وحده، إذن هو مسلم، والشرك الذي جرى على لسانه لا يخرجه من الملة، ويُتوسع في العذر للجهال، فقد يقول الكفر ولا نحكم بكفرهم بمقتضيات تخصهم ولا سيما إن كانوا جهّال، هناك ألفاظ بعض الناس يقولونها أشد من هذه اللفظة، ومما ذكر (السّكوني) في كتاب (لحن العامة) مثلا قول البعض: "إن لله رجالاً إذا أرادوا أراد الله"، جعلوا مشيئة الله تابعة لمشيئة هؤلاء الرجال، وهذا أقبح من "ما شاء الله وشئت"، الدارجة عند غلاة الصوفية قولهم: "إن لله رجالاً إذا أرادوا أراد الله" إيش الكفر في العبارة؟ أن إرادة الله ومشيئته أصبحت معلقة بإرادة هؤلاء البشر، وهؤلاء البشر فيهم النقص في كل حال، والله له الكمال والجلال ﷻ، من الكلمات الدارجة على ألسنة الناس في مجالسهم وذكرها (السكوني) قال: "ما يرحمك إلا الله ودراهمك"، وقول بعض الناس اليوم: "لولا الله ووظيفتي لأموت جوعاً"، "لولا الله والكلب لسُرقنا" ويا ليتكم تقرأون في التفاسير المسندة ومن اختصرها، قول الله تعالى في أواخر سورة يوسف: {وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ}، هم مؤمنون ومشركون، المراد الشرك اللفظي وإلا الآية لا يتعارض أولها مع آخرها، فليس كل شرك –ولا سيما في الألفاظ التي تجري على اللسان– يقتضي منه الخروج من الملة، {وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ} أي هناك إيمان،{إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ} أي بالألفاظ، فذكر جمع من السلف ألفاظا كثيرة كانت دارجة في عصرهم، أي في زمن الصحابة، وبعضها اتهام

لله ﷻ، كما ذكرت لكم في بعض الأمثلة، يقولون: "هذا لله ولك" يقولون: "ما معي إلا الله وأنت" ، " أنا بالله وبك" "سبحان الله وما يخلق"، جعل التسبيح لله وجعل التسبيح لمخلوقاته، اللفظ شرك، قل: سبحان الله وحده ﷻ ، بعض الناس يقول كلام مشتبه، الكلام المشتبه يحتاج إلى تفصيل، يقولون: "اللهم أمتنا على خير الأديان" إن قالها شكاً في الإسلام كفر، وإن أراد الإسلام أخطأ، قل: "اللهم أمتنا على الإسلام والسنة"، سمع الإمام أحمد رجلاً يقول: "اللهم أمتنا على الإسلام" قال: "قل والسنة"، آخر يقول: "اللهم أمتنا على خير الأديان" قل : "اللهم أمتنا على الإسلام"، ومن الألفاظ الدارجة والتي لها لوازم، ولوازم لا تنفك لما يقال: "فلان انتقل إلى مثواه الأخير" يعني يريدون أنه مات وقبرناه، المثوى الأخير للإنسان الجنه أو النار وليس القبر، فالقول بأن الإنسان لما يُقبر في القبر انتقل إلى مثواه الأخير يلزم منه أنه لا يؤمن بالبعث، ولا يؤمن بجنة ولا يؤمن بنار، فهذا شرك لفظي، وليس شركاً مخرجا من الملة، بعضهم يقول كلمات، ذكرها السكوني في كتابه يقول: من ألفاظ الكفر أن تقول: "اللهم يا ساكن السماء" إيش معتقد أهل السنة في وجود الله ﷻ ؟ أنه مستوٍ على عرشه، بائن من خلقه، الله ليس في ذواتنا، فالله في السماء، وكثير ممن لا يقبل أن الله في السماء يظن أن قائلها يعتقد أن الله قد حوته السماء، وأن السماء أكبر من الله تعالى، وهذا المعنى كفر، ذكر الرازي في تفسير سورة الملك {أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ} قال: "من اعتقد أن الله في السماء بمعنى أن السماء تحوي ربنا" –وهو معنى قول السكوني يا ساكن السماء– فقد كفر" ، أسند ابن جرير قال: "هو الله الذي في السماء" بمعنى أن الله ﷻ عالٍ على السماء وليس ساكناً في السماء، النبي ﷺ يقول: "ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء" ما معنى ارحموا من في الأرض؟ أي: ارحموا من على الأرض يرحمكم من على السماء، والله جل في علاه مستوٍ على عرشه فوق خلقه، الله يقول: {يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ}، هذا كلام الله ﷻ ومن الخطأ أن نقول: "الله ليس فوق العالم و ليس تحت العالم، وليس عن يمين العالم، وليس عن شمال العالم"، بعض الأمراء لما سمع رجلاً لما قيل له: أين الله؟ قال: "الله

لافوق ،لا تحت، لا يمين لا شمال" قال: "هذا ضيّع ربه"، فلمّا نقول: "الله في السماء" لا يخطر في بالك أن السماء تحوي ربنا، لو قلنا المخلوقات كلهم أعلى سقف فيها هو العرش، فالله مستوٍ عليه فهو فوقه، فالمكان الذي هو فوق العرش قال عنه العلماء: "مكان عدمي" ماذا يعني مكان عدمي؟ يعني هو ليس بمخلوق، فكما أخبرنا ربنا ﷻ ، أنه فوق العرش، والله لما خلق الخلق ما حلّ في خلقه، والله على ما كان لما خلق الخلق، ولكن هذا المكان يسمى (عدمي) حتى لا نفهم أن الله في داخل السماء وأن السماء محيطة بالله، هذا كفر، وقد ذكرت هذا في بعض المجالس في مركز الإمام الألباني، وأتوني ببعض المشايخ ينكرون المكان العدمي، فأرسلت لهم كلام شيخنا الألباني في (مختصر العلو)، و كلام الإمام الذهبي، وكلام ابن تيمية، وكلام ابن القيم، وكلام الشيخ ابن عثيمين، هناك جمع كبير يقولون بالمكان العدمي، فبعض الناس يتعجل في التخطئة فلمّا يتبين له خطأه يجَبن أن يتراجع، فلما سكتوا حصل الجواب، فمرادي من هذا الكلام أن اعتقاد مانقله السكوني في (لحن العامة) "يا ساكن السماء" عن الله ﷻ، هذا الكلام خطأ، أما الله مستوٍ على عرشه فصحيح، وأن هذا الخطأ بمعنى أن السماء أكبر من الله ﷻ ، لذا قرأت كتاب السكوني كله على شيخنا الألباني -رحمه الله- في مجلس طويل، وكان -رحمه الله- يُعلق فكتبت تعليقات الشيخ على بعض العبارات وهو محفوظ عندي وأسأل الله ﷻ أن يعين على نشره.

ثبت حديث لقتيلة الجهنية : "أن يهودياً أتى إلى النبي ﷺ فقال: أصحابك يشركون وينِدّدون، يقولون: والكعبة، ويقولون: "ما شاء الله وشئت" -يهودي موحد، بعض اليهود يعرفون التوحيد- فأمر النبي ﷺ إذا حلف الإنسان أن يقول: "ورب الكعبة"، وأن يقول: "ما شاء الله ثم شئت". لا تقول ما شاء الله وشئت، لا تُسوي بين الله وبين المخلوق، وإنما تقول "ما شاء الله ثم شئت"، والحلف بغير الله تعالى حرام كما ذكرت بل كبيرة من الكبائر، ويؤكد ذلك مقولة عبدالله بن مسعود الثابتة عنه ﵁ : "لئن أحلفُ بالله كاذباً أحب إلي من أن أحلف بغيره صادقاً" وابن

مسعود ﵁ هو الذي روى حديث: "من حلف على يمين كاذبة ليقتطع بها مال امرئ مسلم لقي الله عليه وهو غضبان"، ومع هذا الحلف بغير الله أشد من "لقي الله عليه وهو غضبان" فهو على ما قلناه من أن الحلف بغير الله أشد من الكبائر، وهذا أمر معروف، بل أخرج أبو نعيم في (الحلية) عن زياد وهو تابعي: "أنه سمع رجلاً يحلف بالأمانة فبكى ثم جلس يبكي -رحمه الله- فقيل له في ذلك؛ فقال: لأن تحُكّ أحشائي حتى تدمى أحب إلي من أن أحلف بغير الله"، فكذلك "ما شاء الله وشئت" فهي منكرة من القول، وعدّها عبدالله بن عباس ﵁ من الشرك لأنها مساواة بين الله وخلقه، فهي منكر من القول وزور، إن كنت لابد أن تقول "ما شاء الله" قل "ثم شئت" والأكمل أن تقول: "ما شاء الله وحده"، للعبد مشيئة كما هي مثبتة في كتاب الله لكن مشيئة الله تعالى هي سابقة ﷻ ، ثم في الكلام الذي سمعناه نبه المصنف على ما هو أفظع من "ما شاء الله وشئت" مثل: "أنا متوكل على الله و عليك"، توكُّل التفويض، والتوكل له ركنان: الاعتماد على الله وحده، والثقة بالله في الاعتماد عليه، أن تعتمد عليه وأن تثق بأن الله ﷷ سيلبي لك فيما اعتمدت عليه، ولذا لا يجوز شرعا أن تقول وأن تسوي في التوكل بين الله وغيره، فلا يجوز لك أن تقول: "أنا متوكل عليك" وكذلك لا يجوز لك أن تقول: "أنا في حسب الله وحسبك"، فالحسب أيضا تفويض قلبي، وهو عبادة لا تصرف إلا إلى الله ﷻ، {أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ}، {وَإِن يُرِيدُوا أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ ۚ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ}، هنالك آية كثير من الناس يفهمونها خطأ، وسأكتفي بذكر الآية والخطأ والصواب، والعلماء بحثوا هذا وفصّلوا فيه، شيخ الإسلام ابن تيمية في المجلد الأول فصّل فيها، وفصّلت هذا في كتابي (محنة ابن أبي العز) وطوّلت كثيرا في التفصيل فيه ، قال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ}، "حسبك الله" ما معنى الآية ؟ أي: الله لا يأمر نبيه أن يكون الله حسيبه وأن يكون المؤمنين حسباء له، لا! قال الشعبي: "حسبك وحسب من معك الله" معنى الآية: "يا أيها النبي حسبك ومن اتبعك من المؤمنين، الله"، {أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ}، فالحسب يكون لله ﷷ،

فالله كافيك، والله كافي من معك، فلا تحتاجون معه إلى أحد، ومثلها: "من بركات الله وبركاتك"، و"الله لي في السماء وأنت في الأرض" وهذا كله فيما ذكر بعض السلف في تفسير قول الله ﷻ: {وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ}، قلنا في الدرس الماضي: "أن كل عبادة ثبتت لله سبحانه وتبين أن الله يحبها فمن التوحيد أن تكون خاصة بالله، فإن صرفتها إلى غير الله ﷻ فهذا شرك"، وهذه العبادة معناها الأفعال القولية، والفعلية، أي تشمل الأقوال والأفعال وأعمال القلوب، وكل ما يحب الله ويرضى، هذه هي العبادة: "اسم جامع للأقوال والأفعال فيما يحب الله ﷻ ويرضى"، فكل ما هو عبادة خالصة لله ﷻ ، وبدأ يذكر قال: "مما يخالف قول الله {إِيَّاكَ نَعْبُدُ}"، فالعبادة ينبغي أن تكون خالصة لله ﷻ، فكل ما يخص الأقوال والأفعال، فهذه كلها ينبغي أن تكون لله ﷻ، السجود، التوكل، الإنابة، التقوى، الخشية، التوبة، النذور، الحلف، التسبيح، التكبير، التهليل، التحميد، الاستغفار،حلق الرأس خضوعا وتعبداً، حلق الرأس كما ذكرنا قد يكون عبادة، فمن قصد بحلق رأسه امتثال أمر الله تعالى أصبح عبادة مثل الحج، والعمرة حلق الرأس عبادة، قال الله ﷻ : {مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ}، والنبي ﷺ قال: "رحم الله المحلقين، رحم الله المحلقين، رحم الله المحلقين"، قيل: والمقصرين، فقال في الثالثة: "والمقصرين"، فحلق الرأس في النسك عبادة يجب أن تكون خالصة لله ﷻ ، فمن حلق رأسه عند شيخ للدلالة على توبته، ومن باب أولى عند صنم وما شابه فهذا شرك بالله، أما حلق الرأس للنظافة وللترفه وليس عبادة هذا من المباح، بل ورد في بعض الأحاديث "من كان له شعر جميل يكرمه" لا حرج أن يكرم الإنسان شعره، ولو حلق لا حرج، لكن الحلق على وجه العبادة فهذا أمر خاص بالله ﷻ، ثم ذكر في مسند الإمام أحمد أن رجلاً أُتي به إلى النبي ﷺ وقد أذنب ذنباً، فلما وقف بين يديه قال: "اللهم إني أتوب إليك ولا أتوب إلى محمد، فقال ﷺ: عرف الحق لأهله"، هذا الحديث ضعيف إسناداً، مداره على الحسن البصري عن الأسود بن سريع رضي الله عنه، قال علي ابن المديني وغيره من النقاد: "الحسن البصري لم يسمع من الأسود"، فالإسناد منقطع، وفيه أيضاً

محمد ابن مصعب، قال الحافظ ابن حجر في (التقريب): "صدوق كثير الغلط"، فالإسناد منقطع، ولكن معناه صحيح، نحن لما نتوب، نتوب إلى من؟ نتوب إلى الله ﷻ، هل يجوز صرف التوبة إلى غير الله ﷻ ؟ لا، لأن التوبة عبادة، فهذا الحديث معناه صحيح وإسناده غير صحيح، ويغني عنه قول الله ﷻ: {وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}، فالتوبة إلى الله، ولا يجوز أن تكون التوبة لغيره، لأن التوبة عبادة من العبادات، هذا كلام مجمل، وأمثلة وردت في كلام النبي ﷺ ، وأمثلة تجري على ألسنة الناس هي أشد وأبين في الحكم عليها بالشرك اللفظي مما ورد عن النبي ﷺ، ونكتفي بهذا القدر في الكلام على الشرك اللفظي، والكلام على الشرك اللفظي كما قلت طويل وشديد، والله تعالى أعلم، ويبقى هنالك نوع آخر من أنواع الشرك الأصغر وهو شرك السرائر، الشرك الخفي، المسمى بـ (الرياء)، فالرياء أن تفعل فعلاً وقلبك غير متجه إلى الله والدار الآخرة، وإنما يتجه إلى الخلق، فهذا شرك أصغر لا يخرج من الملة، وإنما هو من أكبر الكبائر، وهذا هو موضوع كلامنا إن شاء الله تعالى في درسنا القادم، هذا والله أعلم وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد.